﴿وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١٢٧﴾ [البقرة: 127]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

ذكَّرَ الحقُّ تبارك وتعالى العربَ بنعمهِ، منها أنّه جعل البيتَ مثابَةً للنّاسِ وأمنًا، ورزقهم من الثّمراتِ، وهذه نعمٌ مادّيّةٌ، ثمّ انتقل إلى النّعمِ المعنويّةِ؛ بأنْ أوحى إلى إبراهيمَ وإسماعيلَ بتطهيرِ البيتِ الحرامِ؛ لأجلِ الطّوافِ والاعتكافِ والصّلاةِ، "ثمَّ ذَكَّرَهُم بعد هذا بأَنَّ إبراهيمَ هو الّذي بنى هذا البيتَ بمُساعدةِ ابنِهِ إسماعيلَ، وذَكَرَ لهم مِنْ دُعائِهما هُنالكَ ما يُرشِدُهُم إلى العبادَةِ الصَّحيحَةِ والدِّينِ الحَقِّ، ويَجذِبُهُم إلى الاقتداءِ بذلِكَ السَّلَفِ الصَّالِحِ الّذي يَنتَمونَ إليه ويُفاخِرونَ به"[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَدَاتِ:

1) ﴿يَرۡفَعُ﴾: فعلٌ مضارعٌ دالٌّ على الاستقبال، جذرُه اللّغويُّ (رفع)، والأصلُ في معناهُ "يَدُلُّ على خِلافِ الوَضعِ، تقولُ: رَفَعْتُ الشَّيءَ رَفْعًا؛ وهو خلافُ الخَفْضِ، ومَرفوعُ النَّاقَةِ في سَيرِهَا: خِلافُ المَوضوعِ"[2].

و"المعنى المحوريّ جذبُ الشّيءِ، أو دفعُه مسافةً إلى أعلى (بقوةٍ)"[3].

و"الرَّفعُ يُقالُ تارةً في الأجسامِ الموضوعةِ إذا أعلَيتَها عن مَقرِّها، نحو: ﴿وَرَفَعۡنَا فَوۡقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾ [البقرة: 63] ... وتارةً في البناءِ إذا طوّلتَهُ، نحو قولِه: ﴿وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ﴾"[4].

ومعنى الرّفع الوارد في الآية: "البناء عليها لأنّها إذا بنى عليها نُقلتْ عن هيئةِ الانخفاضِ إلى هيئةِ الارتفاعِ، وتطاولت بعد التّقاصر"[5]، ومعنى رفعِ القواعدِ من البيتِ:

(1) محمّد رشيد رضا، تفسير المنار: 1/383.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (رفع).
(3) جبل، المعجم الاشتقاقي المُؤصّل: (رفع).
(4) الرّاغب، المفردات: (رفع).
(5) الزّمخشريّ، الكشّاف: 1/321.

"ما قعدَ من البيتِ- أي استوطَأ- يعني جعلَ هيئتَه القاعدةَ المستوطئةَ مرتفعةً عاليةً بالبناءِ، ورُوِيَ أنّهُ كانَ مُؤسَّسًا قبلَ إبراهيمَ؛ فبنى على الأساس"[1].

2) ﴿إِبۡرَٰهِـۧمُ﴾: اسمُ علمٍ أعجميٍّ لخليل الرَّحمن عليه السلام، وسبق شرحه قريباً في الآية (124).

3) ﴿ٱلۡقَوَاعِدَ﴾: جمعُ تكسيرٍ، مفردُه قاعدةٌ، وجذرُه اللّغويُّ (قعد)، "والقواعدُ: أساسُ البناءِ، الواحدةُ قاعدةٌ"[2].

وقواعدُ البيت الواردة في الآية: "هي الأسسُ الثّابتةُ الّتي ينتصبُ عليهَا بناءُ البيتِ"[3].

4) ﴿ٱلۡبَيۡتِ﴾: اسمٌ ثلاثيٌّ مُجرّدٌ، جذرُه اللّغويُّ من (بيت)، وقيلَ: إنّهُ مصدرٌ من الفعلِ باتَ يبيتُ، والأصلُ في معنى البيتِ "المَأوى والمَآبُ ومَجمَعُ الشَّملِ، يُقالُ بَيْتٌ وبُيُوتٌ وأَبيَاتٌ"[4].

و"بَيتُ الرّجل: دارُه، وقَصْرُه، والبَيت من الشَّعَرِ: ما كان أكبر من الخِبَاءِ؛ أي: ما زادَ على شُقَّةٍ واحدةٍ، ثمّ هو مِظَلّةٌ إذا كَبِرَ عن البيتِ وهي تُسمَّى بيتًا أيضًا إذا كانَ ضَخمًا مُرَوّقًا"[5].

و"أصلُ البيتِ مأوَى الإنسانِ باللّيلِ، لأنّهُ يقالُ بَاتَ أقامَ باللّيلِ، كما يُقالُ ظلّ بالنّهارِ، ثمّ قد يُقالُ للمسكنِ: بيتٌ من غيرِ اعتبارِ اللّيلِ فيه" وهو هنا معرّفٌ بأل، والمرادُ في الآية الكريمة هو بيتُ اللّهِ العتيقِ[6].

5) ﴿وَإِسۡمَٰعِيلُ﴾: اسمٌ علمٌ على نبيِّ اللّهِ، ابنُ خليلِ الرَّحمنِ إبراهيمَ عليه السلام، وسبق شرحه قريباً في الآية (125).

6) ﴿رَبَّنَا﴾: اسمٌ مُضعّفٌ ثُلاثيّ (ربّ)، وجذرُه اللّغويُّ (ربب)، ولمعناهُ ثلاثةُ أصولٍ؛ الأصل الأوّل: "إصلاحُ الشَّيءِ والقيامُ عليهِ، فالرّبّ: المالكُ، والخالقُ، والصّاحبُ، والرّبّ: المُصلحُ للشّيءِ"[7].

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 4/321.
(2) السّمين، عمدة الحفّاظ: (قعد).
(3) جبل، المعجم الاشتقاقي المُؤصَّل: (قعد).
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (بيت)
(5) جبل، المعجم الاشتقاقي المُؤصَّل: (بيت)
(6) الرّاغب، المفردات: (بيت).
(7) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (ربّ).

والأصل الثاني: "لزومُ الشَّيءِ والإقامةُ عليهِ ... والأصلُ الثالثُ: ضمُّ الشَّيءِ للشَّيءِ"[1]، والثّاني والثّالثُ مناسبان للأصل الأوّل، والتّحقيقُ في الأصول الثّلاثة يجعلُهم بابًا واحدًا.

والرّبُّ "الملكُ والسيّدُ والمصلحُ والصّاحبُ، وكلّها معانٍ متقاربةٌ، ولا يُقالُ مُطلقًا إلاّ للباري تعالى"[2].

و"الرَّبُّ في الأصلِ التّربيةُ، وهو إنشاءُ الشَّيءِ حالاً فحالاً إلى حدّ التَّمامِ، يُقالُ رَبَّهُ وربّاه ورَبَّبَهُ"[3]، وقد عبّرَ بالرَّبِّ في نوال الأجر؛ لأنّهُ" النَّاظرُ في مصالحهِ ومربيهِ ومدبّرُ أحوالهِ؛ ليكونَ ذلكَ أطمعَ لهُ، فلذلك أتى بصفة الرّبّ"[4].

7) ﴿تَقَبَّلْ﴾: فعلُ أَمرٍ مُضعّفٌ، وزنهُ (تَفَعّلْ)، جذرُه اللّغويّ (قبل)، وهو "أصلٌ واحدٌ صحيحٌ تدُلُّ كَلِمُهُ كلُّها على مواجهةِ الشّيءِ للشّيءِ، ويتفرّعُ بعد ذلك"[5] و"المعنى المحوريُّ: مُقدَّمُ الشّيءِ الّذي يُتَّجَهُ إليه منه (لملاقاته أو النّفاذ فيه)"[6].

"وقبِلَ اللّهُ توبةَ عبدِه وعذرَه وتقبّلَه، بمعنى أنّهُ اعتدلهُ بما أتى به، وبما اعتذرَ به، والتقبّلُ: قبولُ الشَّيءِ على وجهٍ يقتضي ثوابًا كالهديّةِ"[7].

ومعنى ﴿تَقَبَّلْ﴾ في الآية: "اقبَلْ، فتفعَّلْ هنا بمعنى المُجرَّد"[8].

8) ﴿ٱلسَّمِيعُ﴾: صيغةُ مبالغةٍ زنةُ (فَعيل)، وجذرُه اللّغويُّ (سمع)، وأصلُ معناه "إيناسُ الشَّيءِ بالأُذُنِ مِن النَّاسِ، وكُلِّ ذِي أُذُنٍ، تَقولُ: سَمِعْتُ الشَّيءَ سَمْعًا، والسَّمْعُ: الذِّكرُ الجميلُ"[9].

ومعنى السّمع "قوّةٌ في الأذنِ به يُدرِكُ الأصواتَ، وفعلُه يُقالُ لهُ السَّمْعُ أيضًا، وقدْ سمعَ سَمْعًا ... وإذا وصفتَ اللّه تعالى بِالسَّمْعِ فالمرادُ بِهِ عِلمُه بالمَسمُوعاتِ، وتحرّيهِ بالمجازاةِ بها"[10].

---

(1) المصدر السّابق: (ربّ).
(2) السّمين، عمدة الحفّاظ: (ربّ).
(3) الرّاغب، المفردات: (رب).
(4) أبو حيّان، البحر المحيط: 1/564.
(5) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (قبل).
(6) جبل، المعجم الاشتقاقي المُؤصَّل: (قبل).
(7) السّمين، عمدة الحفّاظ: (قبل).
(8) السّمين، الدّرّ المصون: (قبل).
(9) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (سمع).
(10) الرّاغب الأصفهانّي، المفردات: (سمع).

والسّميعَ في الآيةِ: بمعنى السّميعِ لدعائِنا، الّذي لا يعلمهُ سواك[1].

9) ﴿ٱلۡعَلِيمُ﴾: صيغةُ مبالغةٍ زنةُ (فَعِيل)، وجذرُه اللّغويُّ (علم)، ولهُ "أصلٌ صحيحٌ واحدٌ، يدُلُّ على أثرٍ بالشَّيءِ يتميّزُ بهِ عن غيرِه، من ذلكَ العَلامةُ"[2]، من معانيهِ أنّهُ "ضدّ الجَهل، رجلٌ عَالمٌ من قومٍ عُلَماءَ وعالمينَ، وأعلامُ القَومِ ساداتُهم، ومَعالمُ الدّينِ دلائلُه"[3]، والعلمُ بمعناهُ الاصطلاحيّ "إدراكُ الشّيءِ بحقيقتِه؛ وذلكَ ضَربانِ: أحدُهُما: إدراكُ ذاتِ الشَّيءِ، والثّاني: الحُكمُ على الشَّيءِ بوجودِ شيءٍ هو مَوجودٌ لهُ، أو نَفيُ شيءٍ هو مَنفيٌّ عنه"[4].

والعلمُ يدُلُّ أيضًا على "اليقين، يُقالُ: عَلِمَ يَعلَمُ إذا تَيَقَّنَ، وجاء بمعنى المعرفةِ أَيضًا، كما جاءَتْ بمعناهُ، ضُمِّنَ كُلُّ واحِدٍ معنى الآخَر؛ لاشتراكِهما في كَونِ كُلِّ واحِدٍ مَسبوقًا بالجهل"[5].

ومعنى ﴿ٱلۡعَلِيمُ﴾ في الآية: أنّهُ العليمُ "بكلِّ المعلوماتِ الّتي من زمرتِها نيّاتُنا في جميعِ أعمالِنا"[6].

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

خطابٌ للرَّسولِ ﷺ، ولأمّتِه أنْ يذكرُوا منقبةً أخرى من مناقبِ إبراهيمَ عليه السلام، وما فعلَه وابنهُ إسماعيلُ عليه السلام من رفعِ أُسسِ الكعبة لبناءِ بيت الله لعبادِه، وهما يتضرّعانِ إلى الله تعالى مع كلّ حجرٍ يضعانهِ: ربّنا تقبّلْ منَّا صالحَ أعمالنا ودعاءَنا؛ إنّكَ أنت السميع لأقوال عبادك، العليمُ بأحوالهم.

وفي الآية دليلٌ: أنَّ الإنسان إذا عمل خيراً ينبغي أن يدعو الله بالقَبول، وأن يكون خوفُ الإنسان على قبول العمل بعد الفراغ أشدَّ من شغله بالعمل[7].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 1/719.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (علم).
(3) ابن دريد، جمهرة اللّغة: (علم).
(4) الرّاغب الأصفهانّي، المفردات: (علم).
(5) الفيوميّ، المصباح المنير: (علم).
(6) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 1/259.
(7) السمرقندي، تفسير السمرقندي: 1/93، ونخبة من العلماء، التفسير الميسر، ص: 20.

❁ الإيضَاحُ اللُّغَوِيُّ وَالبَلَاغِيُّ:

سِرُّ إيثارِ صيغةِ المضارعِ بدلًا من الماضِي:

تصويرُ حكايةِ الماضي للمخاطَبِ كأنّهُ محسوسٌ مُشاهدٌ

معنى قوله تعالى ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ﴾؛ واذكرْ يا محمّدُ أنتَ وأمّتُك ذلكَ الوقتَ الّذي يرفعُ فيه إبراهيمُ القواعدَ، فالفعلُ مضتْ عليه أزمانٌ متطاولةٌ بدلالة ﴿وَإِذْ﴾ الدّالّة على المضيّ، لكنّهُ عبّرَ عنهُ هنا بالفعل المضارع الدّالّ على الحال، فإنّ "﴿يَرْفَعُ﴾ حكاية حالٍ ماضيةٍ"[1].

وسرُّ التّعبير بالفعلِ الدّالِّ على الحال هو استحضار الحالة الإبراهيميّة "فإنَّهُم لحُبِّهِم إبراهِيمَ وإجلالِهِم إيَّاهُ لا يزالونَ يَذكُرونَ مَناقِبَهُ، وأَعظَمُها بِناءُ الكعبةِ ... حتَّى كأَنَّهُ حاضِرٌ بينهُم وكأَنَّ أَحوالَهُ حاضِرَةٌ مُشاهَدَةٌ"[2].

علَّةُ اختيارِ مادّةِ الرَّفعِ دون غيرِها:

تشريفُ البيتِ المرفوعِ، وإيماءٌ إلى وجود البيتِ قبل رفعِه

اختار النَّظم مادّةَ الرفعِ في قوله تعالى ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ﴾، ودلالةُ رفعِ القواعدِ هو إعلاؤُها لتصيرَ جداراً، وهكذا حتَّى يكونَ البناءُ مُكتمِلًا مُرتفِعًا، وهي في أصلِها إطالةٌ للأساس، إلاّ أنّه اختارَ فعلَ ﴿يَرْفَعُ﴾ من الجذرِ اللّغويّ (رفع)، ومن "مادَّةِ الرَّفعِ دُونَ مادَّة الإطالَة ونَحوها معنى التَّشريف، وفي إثباتِ ذلك للقَواعِدِ كِنايةٌ[3] عن ثُبُوتِهِ للبيت"[4] وفي إيثارِه فعلَ الرَّفعِ دونَ فعلِ البناءِ تشريفٌ آخر، وهو الإيماءُ بأنّ البيتَ موجودٌ قبل الرَّفع، واللّه تعالى هو مَن وضعَ البيتَ، وهذا مزيدُ تشريف.

وفي إسنادِ رفعِ قواعدِه لإبراهيمَ عليه السلام تشريفٌ أيضًا؛ فإنّهُ

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 1/321.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 1/718.
(3) الكناية "لفظ أُريد به لازم معناه مع جواز إرادة معناه الأصلي مع لازمه؛ كلفظ طويل النِّجاد، والمراد به طول القامة مع جواز أن يراد حقيقة طول النِّجاد أيضًا"، التّفتازاني، مختصر المعاني: 1/257.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 1/718.

وإنْ كانَ سببًا في رفعهِ بالحجارةِ ونحوِها بعدَ أنْ طُمسَتْ معالمُه بالطّوفانِ، فقد كان حريصًا على رفع مكانة البيت، وإظهارِ شرفِه.

التّعبيرُ بأل دون التّركيبِ الإضافيّ:

الإيضاحُ بعدَ الإبهامِ يفيدُ تفخيمَ الشّأنِ والتّشويقَ

لم يُستعمل في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ﴾ التّركيب الإضافيّ (قواعد البيت)، واستعملَ لفظَ ﴿ٱلْقَوَاعِدَ﴾، وأل هي عوضٌ عنِ المضافِ إليه المحذوفِ؛ "فلم يَقلْ: يَرْفَعُ قواعدَ البيتِ؛ لأنَّ في إبْهام القواعد، وتَبيينِها بعد الإبْهام مِن تَفخيمِ الشَّأن ما ليس في العبارة الأُخرى"[1].

وفي بيان هذه النكتة قال صاحب المنار: "أنَّ ذِكرَ القواعدِ أوَّلًا يُنَبِّهُ الذِّهنَ ويُحَرِّكُهُ إلى طلب مَعرفة القواعد ... فإذا جاءَ البيانُ بعد ذلك كان أَحْسَنَ وَقْعًا في النَّفس، وأَشَدَّ تَمَكُّنًا في الذِّهن"[2] ففي هذا الأسلوب منَ البيان بعد الغموض تشويقٌ للسَّامع، وانتظارٌ لمعرفة هذه القواعد.

نكتةُ تقديمِ ﴿إِبْرَٰهِـۧمُ﴾ على ﴿وَإِسْمَٰعِيلُ﴾ والفصلِ بَيْنَهما:

تقديمُ الأصلِ على الفرعِ، والرَّافعِ على المعاونِ، والمقصودِ أصالةً على التَّابعِ

في قوله تعالى ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ﴾ قدّمَ ﴿إِبْرَٰهِـۧمُ﴾ عليه السلام على ﴿وَإِسْمَٰعِيلُ﴾ عليه السلام لأسبابٍ متعددةٍ يعودُ مجملُها إلى باب تقديم الأصل على الفرع، وفيه إلماعٌ إلى "كَونِ المأمورِ مِنَ اللّهِ ببناء البيت هو إبراهيمُ"[3] منذُ أنْ أسكنَ ذريتَهُ بوادٍ غيرِ ذي زرعٍ، وكان إسماعيل طفلاً رضيعًا، فكان ذلك من إرهاصات بناء البيت، فإبراهيمُ هو الأصلُ وإسماعيلُ هو الفرعُ، "عن ابنِ عبّاسٍ قال: جعلَ إبراهيمُ يبنيه، وإسماعيلُ يناولهُ الحجارةَ"[4] فالأصلُ في البناءِ لإبراهيمَ، وإسماعيلُ معينٌ له، وفُصِلَ بينهما؛ "للإشارة إلى

(1) الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 4/63.
(2) محمّد رشيد رضا، تفسير المنار: 1/386.
(3) محمّد رشيد رضا، تفسير المنار: 1/386.
(4) ابن جرير، جامع البيان: 2/35.

التَّفاوت بين عَمَلِ إبراهيمَ وعملِ إسماعيلَ أُوقِعَ العطفُ على الفاعل بعد ذِكرِ المفعول والمُتَعَلِّقات"[1].

دلالةُ التّعبير بصيغةِ الفعلِ ﴿تَقَبَّلْ﴾ دون (اقبلْ):

فقهُ الدُّعاءِ قائمٌ على استحضارِ العبدِ تقصيرَه مع مولاه

عبّرَ في قوله تعالى ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ﴾ بالفعلِ ﴿تَقَبَّلْ﴾، بوزنِ (تفعّلْ) الدّالّ على التّكلّف[2]، دون أن يُعبّر بصيغةِ (اقبلْ)؛ وذلك لوجودِ فرقٍ بينَ القبولِ والتّقبّلِ؛ "فالتَّقَبُّلُ عبارةٌ عَن أَن يَتَكَلَّفَ الإنسانُ في قبوله، وذلك إنَّما يكونُ حيثُ يكونُ العملُ ناقصًا لا يَستحِقُّ أَن يُقبَلَ؛ فهذا اعترافٌ منهما بالتَّقصير في العمل"[3]؛ فأيُّ عملٍ صادرٍ منَ الإنسانِ يتغيّا رضاهُ تعالى مُتلفّعٌ بالتّقصير والعجز، وهذا ما كان منهما؛ فعبّرا بالفعل الدّالّ على التّكلّف والمشقّةِ، وفيه اعترافُ العبدِ العالمِ بالتقصيرِ، وتعليمُ الأتباعِ فقهَ الدُّعاءِ.

دلالةُ حذفِ مفعولِ ﴿تَقَبَّلْ﴾:

العبرةُ بقبولِ الأعمالِ لا بأماكنِها ولا أزمانِها ولا أشخاصِها

دعا إبراهيمُ وإسماعيل عليهما السلام أثناءَ رَفْعِ القواعدِ: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ﴾[4]، والفعلُ ﴿تَقَبَّلْ﴾ يطلبُ مفعولاً، وقد حُذِف للدّلالةِ على طمعِ العبدِ بعمومِ القبولِ؛ ليدخلَ تحته القولُ والعملُ، وكلّ ما يدخلُ تحت عمل الخير؛ لأنّ إظهارَ المفعول قد يُوحي بحصرِه فيه، وهو غيرُ مرادٍ، فهما يرفعانِ البيتَ ويدعوانِ بقبولِ جميعِ الأعمال، وفي الدّعاء إشارةٌ إلى أنَّ العِبرةَ ليست بمقدار العمل، ولا في زمانِه أو مكانِه – ولو كان في بيتِه الحرامِ –، وإنّما في قبوله، وهو دليلٌ معتبرٌ على أنَّ الاعتدادَ بأماكن الأعمالِ وأزمانِها دون النَّظرِ إلى طهارةِ القلبِ وسلامتِه من قلّةِ التَّوفيقِ، وغيابِ الفقهِ.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 1/718.
(2) الزّمخشريّ، المفصل، ص: 371.
(3) الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 4/36.
(4) الفرّاء، معاني القرآن: 1/78.

فصل جملة ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾، ودلالة ضمير الفصل فيها:

الـدُّعـاءُ المبنيُّ عـلى الاعـتـقـادِ الصَّحيحِ شرطٌ في القبولِ

ورد قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ كالتّعليل لقولِه: ﴿تَقَبَّلْ مِنَّآ﴾، أي: إنَّك تسمعُ دعاءَنا، وتعلمُ نيّاتنَا، والضّميرُ ﴿أَنتَ﴾ ضميرُ فَصْلٍ لا محلّ لهُ من الإعراب، وورد هنا توكيدًا للكاف الضّمير المتّصل، وهو "يَردُ في الكلام؛ لتقرير المعنى المقصود، وإثباتِه في النّفس"[1]، وإفادة الحصرِ؛ فيكونُ المعنَى حَصْرَ السّمعِ والعلمِ به تبارك وتعالى، على معنى أنَّه "سبحانَه لكمالِه في هذه الصّفة، كأنّهُ هو المختصّ بها دونَ غيرِه"[2]، وفائدتُه بيانُ أنَّه لا يستجيبُ الدُّعاءَ إلَّا هو سبحانه، ففيه مناجاةٌ مشوبةٌ بالتَّصريحِ بالتَّوحيدِ الحقِّ، فكأنَّهما قالا: لا يسمعُ دعاءَنا فيستجيب لنا إلَّا أنت، وهذا من دمجِ الدُّعاءِ بالاعتقادِ الحقِّ، طلبًا لأنفسِهم وتعليمًا لغيرِهم.

براعةُ الفاصلةِ في اختيارِ الأسماءِ وترتيبِها:

(الـسـمـيـع) إشـــــارةٌ إلى معرفةِ الدُّعاءِ، و(العليم) إشارةٌ إلى قبول النِّيَّةِ

خُتِمَ قولُه تعالى: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ بصفتين من صفاتِه تعالى وهما ﴿ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾، "وهاتانِ الصِّفتانِ مُناسبتانِ هنا غايةَ التَّناسُبِ، إذ صَدَرَ منهما عملٌ وتَضَرُّعُ سؤالٍ، فهو السَّميعُ لضراعتهما، وتسآلِهما التَّقَبُّلَ، وهو العليمُ بنيَّاتِهما في إخلاصِ عملِهما"[3].

وقُدِّمَت في قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ صفةُ السّميعِ، "وتأَخَّرَتْ صفةُ العليمِ لكونِها فاصلةً ولعمومها، إذ يَشمَلُ علمَ المَسمُوعات وغير المَسمُوعات"[4]؛ فالسّمعُ من مقدّماتِ العلمِ، والعلمُ أشملُ من السّمعِ وأوعبُ، فلا يكونُ عليمًا مَن لمْ يكنْ سميعًا.

(1) ابن الأثير، الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، ص: 104.
(2) الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 4/64.
(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 1/620.
(4) أبو حيّان، البحر المحيط: 1/620.

دقّةُ توالي المؤكّدات المفيدةِ للقصرِ:

القصرُ حقيقيٌّ إذ لا يستجيبُ الـدُّعـاءَ إلَّا هو سبحانه

في قوله تعالى ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ طائفةٌ من المؤكّدات، منها (إنّ) "وتعريفُ جُزْءَي هذه الجملة، والإتيانُ بضميرِ الفَصلِ، يُفيدُ قَصرَينِ للمُبالغةِ في كمالِ الوصفَينِ له تعالى بتنزيلِ سَمْعِ غيره، وعلمِ غيره مَنزلةَ العدم"[1].

وهذا القَصْر أفادَ مبالغةً، وهو قصرٌ حقيقيٌّ "باعتبارِ مُتَعَلَّقٍ خاصٍّ، أي: ﴿ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ لدُعائِنا لا يَعلَمُهُ غيرُك، وهذا قَصرٌ حقيقيٌّ مُقَيَّدٌ"[2] قيّدهُ أنّه تعالى يسمعُ دعاءَنا وحدَه، ولا يعلم نيّاتنَا أحدٌ سواهُ، فيكونُ من باب الحقيقة؛ لأنّهُ مقيّدٌ وليس مُطلقاً، ويُعزِّز ذلك أنّ المقصودَ بهاتين الصِّفتين الاستجابة، وهذه لا تكون إلَّا منه وحدَه.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 1/719.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 1/719.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني، سورة البقرة من الآية 98 إلى الآية 180
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة البقرة من الآية 98 إلى الآية 180 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 2 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-53-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 2 : سورة البقرة من الآية 98 إلى الآية 180.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-53-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-7984852 بتاريخ 2023/03/10م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»